النظر إلى وجه الله الكريم

٢٠ عن صُهيب الرُّومى[١] عن النبى ﷺ قال :

« إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجنةِ الجنةَ ، يقولُ اللهُ تَبارَكَ وتعالى : تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدكُمْ ؟

فَيقُولونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدخِلْنَا الجنةَ ، وتُنجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟

قال ﷺ :

« فَيُكشَفُ الحجابُ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أحبَّ إليهم مِنَ النَّظرِ إلى ربِّهِمْ عَزَّ وجَلَّ »[٢] .

يقول الحق سبحانه فى كتابه العزيز :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ[٣] (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ (القيامة)

---

(١) هو : صهيب بن سنان بن مالك ، صحابى ، أحد السابقين إلى الإسلام ، كان أبوه من أشراف العرب ، ولد صهيب بالموصل عام (٣٢ ق هـ) ، سباه الروم صغيرًا ، وأقام بمكة يحترف التجارة ، توفى بالمدينة عام (٣٨ هـ) عن ٧٠ عامًا . (الأعلام ٣/ ٢١٠).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٨١) ، والإمام أحمد فى مسنده (٤/ ٣٣٢) ، والترمذى فى سننه (٢٥٥٢).

(٣) قال الفراء فى قوله ـ عز وجل : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) ﴾ (القيامة) قال : مُشْرقة بالنعيم . والنضرة : نعيم الوجه . والنضرة : النَّعْمة والحُسْن والرَّوْنق. (لسان العرب ـ مادة : نضر).

لا بُدَّ أن نعرف أن قضية رؤية الله فى الدنيا محسومة ، وأنه لا سبيل إلى ذلك والإنسان فى جسده البشرى ، لأن هذا الجسد له قوانين فى إدراكاته ، ولكن يوم القيامة نكون خَلْقاً بقوانين تختلف ، ففى الدنيا لا بُدَّ أن تخرج مخلفات الطعام من أجسادنا ، وفى الآخرة لا مخلفات.

وفى الدنيا يحكمنا الزمن ، وفى الآخرة لا زمن ، إذ يظل الإنسان شباباً دائماً ، إذن : فهناك تغيير.

المقاييس هنا غير المقاييس يوم القيامة ، ففى الدنيا بإعدادك وجسدك لا يمكن أن ترى الله ، وفى الآخرة يسمح إعدادك وجسدك بأن يتجلى عليك الله سبحانه وتعالى.

هذا قِمَّة النعيم فى الآخرة ، فأنت الآن تعيش فى آثار قدرة الله سبحانه ، وفى الآخرة تعيش عيشة الناظر إلى الله تبارك وتعالى.

والإنسان فى الدنيا قد اخترع آلاتٍ مَكَّنَتْهُ من أنْ يرى مَا لا يراه بعينه المجرَّدة ، يرى الأشياء الدقيقة بواسطة الميكروسكوب ، والأشياء البعيدة بواسطة التلسكوب.

فإذا كان عمل الإنسان فى الدنيا جعله يبصر ما لم يكُنْ يبصره ، فما بالُكَ بقدرة الله فى الآخرة ؟

وإذا كان الإنسان عندما يضعف نظره يطلب منه الطبيب استعمال نظارة ،

فإذا ذهب إلى طبيب أمهر أجرى له عملية جراحية فى عينه ، يستغنى بها عن النظارة ويرى بدونها .

فما بالكم بإعداد الحق سبحانه للخلق ، وبقدرة الله التى لا حدود لها فى أن يُعيد حَدَق العين ، بحيث تستطيع أن تتمتع بوجهه الكريم.

فإذا كان البشر قد استطاعوا أن يُعدُّوا بمقدوراتهم فى الكون المادى أشياء، لتؤهلهم إلى استعادة حاسة ما ، فما بالنا بالخالق الأكرم ، الإله المربِّى ؟

ألاَ يستطيع الخالق سبحانه أن يُعيدَ خَلْقنا فى الآخرة بطريقة تتيح لنا أن نرى ذاته ووجهه ؟

إنه القادر على كل شىء .

أما أن يراه الخَلْق فى الدنيا ، فلا ، لأن تكويننا غير مُؤهَّل لأن نرى الحق سبحانه ، بدليل أن الأصْلب والأقوى مِنَّا ، وهو الجبل حينما تجلى ربُّه عليه اندكَّ[1]، فلما اندكَّ الجبل خَرَّ موسى صعقاً[2]، فإذا كان موسى قد خَرَّ صعقاً لرؤية المتجلَّى عليه ـ وهو الجبل ـ فكيف لو رآه ؟

إذن : هو غير مُعَدٍّ له.

---

(١) الدَّكُّ : الهدم والدَّقّ . ودك الأرض : سَوَّى صعودها وهبوطها، ودك التراب : كبسه وسوَّاه. (لسان العرب ـ مادة : دكك).

(٢) الصعق : الغَشْى ، وهو أن يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه وربما مات منه . (لسان العرب ـ مادة : صعق).

يقول الحق سبحانه :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا[1] وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ﴾ (الأعراف)

فخَلْقكم ليس على هيئة تسمح لكم أن تَرَوْهُ الآن ، ولكن حين تبرزون فى الآخرة ، وتُعَدُّون إعداداً آخر ، فمن الممكن أن تنالوا شرف رؤيته.

ولا يستوى الناس فى ذلك ، لأن المؤمن هو مَنْ ينال شرف النظر إلى الله ، أما الكافر فهو محجوب عن رؤية الحق.

يقول تعالى فى شأن الكفار:

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ﴾ (المطففين)

فلا يستوى المؤمن والكافر فى هذه الحالة ، فما دام الكافر محجوباً ، فالمؤمن غير محجوب ، ويرى ربه.

قال موسى : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ..... (١٤٣) ﴾ (الأعراف)

---

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) ﴾ (الأعراف) وفى آية أخرى يقول سبحانه : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا .. (١٥٥) ﴾ (الأعراف).

قال الحق : ﴿ لَن تَرَانِي ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأعراف)

وفى اللغة نجد أن «لن» تأتى تأبيدية ، أى : تُؤبِّد المستقبل ، أى : لا يحدث ولا يتحقق ما بعدها .

فهل معنى ذلك أن قول الحق سبحانه : ﴿ لَن تَرَانِي ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأعراف) أن موسى لن يرى الله فى الدنيا ولا فى الآخرة؟

نقول : ومَنْ قال إن زمن الآخرة هو زمن الدنيا ؟

إن هذه لها زمن ، وتلك لها زمن آخر.

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ[1] الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴿٤٨﴾ ﴾ (ابراهيم)

إذن : فزمن الآخرة وإعادة الخلق فيها سيكون أمراً آخر ، يكفى أن أهل الجنة سيأكلون ، ولن تكون لهم فضلات ، إنه خَلْق جديد.

إن مجئ (لن) فى قول الحق : ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ تأبيدها إضافى ، أى : بالنسبة للدنيا ، وفيها تعليل لعدم قدرة موسى على الرؤية.

ويضيف الحق سبحانه :

---

(١) قال ابن كثير فى تفسيره (٢/ ٥٤٣) : « تكون على غير الصفة المألوفة المعروفة . وقال عمرو بن ميمون : أرض كالفضة البيضاء نقية ، لم يُسفك فيها دم ، ولم يُعمل عليها خطيئة ، ينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعى حُفاة عُراة كما خُلقوا ، قياماً حتى يلجمهم العرق » .

﴿ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى[1] رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ﴾ (الأعراف)

وسبحانه هنا يعلل لموسى بعملية واقعية ، فأوضح : لن ترانى ، ولكن حتى أطمئنك أنك مخلوق بصورة لا تمكنك من رؤيتى ، انظر إلى الجبل ، والجبل مفروض فيه الصلابة ، والقوة ، والثبات ، والتماسك ، فإن استقر مكانه يمكنك أن ترانى.

إن الجبل بحكم الواقع ، وبحكم العقل ، وبحكم المنطق أقوى من الإنسان ، وأصلب منه وأشدّ ، ولما تجلى ربه للجبل اندكَّ ، والدكُّ هو الضغط على شىء من أعلى ليسوى بشىء أسفل منه.

فالحق سبحانه تجلَّى على خَلْق من خَلْقه ، ولكن أيقدر المتجلَّى عليه على هذا التجلى ، أم لا يقدر؟

إنْ أقدره الله فهو يقدر ، أما إنْ لم يُقدِره الله فلن يقدر.

والجبل هو الأصلب ، فلما تجلَّى له ربه اندكَّ.

---

(١) قال الزجاج : أى : ظهر وبان ، وهذا قول أهل السنةوالجماعة . وقال الحسن : تجلىَّ: بدا للجبل نور العرش (لسان العرب ـ مادة : جلو) . ونقل ابن كثير فى تفسيره (٢/ ٢٤٤) أخباراً مرفوعة للرسول ﷺ أنه لم يَبْدُ منه سبحانه أكثر من طرف الإصبع الخنصر . والله تعالى أعلى وأعلم .

إذن : فمن الممكن أن يتجلى الله على بعض خَلْقه ، ولكن المهم أبقوى المستقبل للتجلى أو لا يقوى ؟

ولم تَقْوَ طبيعة موسى على التجلى لله ، بدليل أن الأقوى منه لم يَقْوَ ، وهو الجبل.

ولقد حسم الله تبارك وتعالى المسألة مع موسى عليه السلام ، بأن أراه العجز البشرى ؛ لأن الجبل بقوته وجبروته لم يستطع احتمالَ نور الله فجعله دَكّاً.

وكأن الله يريد أن يفهم موسى أن الله تبارك وتعالى حجب عنه رؤيته رحمة منه ، لأنه إذا كان هذا قد حدث للجبل ، فماذا كان يمكن أن يحدث بالنسبة لموسى؟

إذا كان موسى قد صُعق برؤية المتجلَّى عليه ، فكيف لو رأى المتجلَّى سبحانه؟

وهذه هى عظمته سبحانه ، فلو أحسَّ الناس بأىِّ حاسة ما استحق أن يكون إلهاً ؛ لأن مَنْ خلقه خلق مَا لا يُحَسّ مثل الروح التى إذا خرجتْ من الجسد يموت ويتعفَّن ، فهل علمتَ أين كانت الروح فيه ؟

هل شممتها ، أو أبصرتها ، أو سمعتها ، أو لمستها ؟

لا .. إذن : الروح وهى مخلوقة لله لم تستطع أن تدركها بأىِّ حاسة من حواسك ، فإذا كانت الروح المخلوقة فيك لم تستطع أن تدركها ، فكيف تدرك خالقها ؟

فمن عظمته تعالى أنه لا يُرى ولا يُحس.

فإذا كانت هناك مخلوقات لله لا يمكن للعقل أن يدركها ولا للحواس، فكيف ندرك خالقها ؟

إذن : من عظمته سبحانه وتعالى أنه لا يُدرك.

قال الحق سبحانه :

﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ[1] الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام)

ولماذا لا تدركه الأبصار؟

لأن البصر آلةُ إدراك لها قانونها ، بأن ينعكس الشعاع من المرئى إلى الرائى ويحدده ، فلو أن الأبصار تدركه لحددته ، وأصبح مَنْ يراه قادراً عليه ، ولَصارَ مَقْدوراً لكم ، لأنه دخل فى إدراككم.

فلو أنك أدركتَ الله لكان الله مقدوراً لبصرك ، والقادر لا ينقلب مَقْدوراً أبداً.

إذن : فمن عظمته أنه لا يُدرَك.

---

(١) اللطيف : صفة من صفات الله واسم من أسمائه . قال أبو عمرو : اللطيف : الذى يوصل إليك أربك (حاجتك) فى رفق. واللطف من الله تعالى : التوفيق والعصمة . وقال ابن الأثير: اللطيف هو الذى اجتمع له الرفق فى الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى مَنْ قدَّرها له من خلقه . (لسان العرب ـ مادة : لطف).

أنت قد ترى الشمس ، ولكن أتدَّعى أنك أدركتها ؟

لا ... لأن الإدراك معناه الإحاطة.

لقد اختلف العلماء عند هذه الآية إلى أبعد حَدّ ، فمنهم مجيز للرؤية ، ومنهم مُنكِر لها ، وأرى أن خلافهم فى غير مَحلٍّ نزاع ؛ لأنهم تكلموا عن الرؤية.

والكلام هنا عن نَفْى الإدراك، والإدراك إحاطة ، والرؤية تكون إجمالاً ، إنما الإحاطة ليست ممكنة.

وعلى تقدير أن الرؤية والإدراك مُتحدان فى المفهوم نقول : لماذا يكون الخلاف فى أمر الآخرة ؟

لو أن الخلاف فى أمر الرؤية فى الدنيا لكان هذا كلاماً جميلاً ، ولكن الخلاف جعلتموه في الآخرة.

إن آيات القرآن صريحة فى أن رؤية الحق سبحانه وتعالى من نِعَم الله على المؤمنين ، وهى زيادة فى الحُسْنى عليهم ، وحَجْبه سبحانه عن الكفار لَوْنٌ من العقوبة لهم .

يقول الحق سبحانه :

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (المطففين)

فالله يعاقب من كفر به بأن يحتجب عنه ، فالكافرون محجوبون عن رؤية الله عقاباً لهم ، ولو اشتركنا معهم ، وحُجِبنا كما حُجِبوا ، فما مَيْزتنا كمؤمنين ؟

فمَنْ أطاع الله طمعاً فى الحصول على نعيم الله فى الآخرة ، يأخذ هذا النعيم. والذى أطاع الله لذات الله ، ولأنه سبحانه وتعالى يستحق أن يُعبد لذاته ويُطاع ، يكون في الآخرة مع التعظيم والتكريم والمحبة واللقاء بالمنعم.

إذن : فكلُّ إنسان لما عَمِل له ، فإذا زادتْ عبادتك عما فرض الله عليك ، وأحببت أن تكون دائماً فى لقاء مع الله ، بأن تقوم الليل وتتهجد ، وتقرأ القرآن ، وتصلى والناس نيام ، وتتقن العمل الذى ترتقى به حياتك وحياة غيرك، وتفعل ذلك محبة فى الله الذى يستحق التعظيم ، فأنت تستحق المنزلة الأعلى ، وهى أن تكون فى معية الله.

يقول سبحانه :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ (القيامة)

والحق سبحانه يتجلى على أهل الجنة فترات ، ويتجلى على أهل محبوبية ذاته دائماً ، وعندما يتجلى الحق سبحانه على أهل الجنة ويقول :

«يا أهل الجنة ».

فيقولون : لبيك ربنا وسعديك[1] والخير فى يديك.

فيقول سبحانه : هل رضيتم ؟

---

(١) حكى عن ابن السكيت فى قوله : « لبيك وسعديك » تأويله : إلبابًا بك بعد إلباب ، أى : لزومًا لطاعتك بعد لزوم ، وإسعادًا بعد إسعاد . وأصل الإسعاد والمساعدة متابعة العبد أمر ربه ورضاه . (لسان العرب ـ مادة : سعد).

فيقولون : وما لنا لا نرضى يارب، وقد أعطيتنا ما لم تُعْط أحداً من خلقك .

فيقول : أَلاَ أعطيكم أفضل من ذلك ؟

فيقولون : يا ربّ ، وأىُّ شىء أفضل من ذلك ؟

فيقول : أُحِلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط[1] عليكم بعده أبداً»[2].

والحق سبحانه تحدث فى كتابه عن المتعة والنعيم والجنات التى تجرى من تحتها الأنهار ، والمساكن الطيبة التى فى جنات عدن ، فقال :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ[3] ... ﴿٧٢﴾ ﴾ (التوبة)

إذن : فالحق سبحانه وتعالى وعد المؤمنين والمؤمنات بالجنة ، والجنة تُطلق على البستان والأماكن الجميلة ، تملؤها الزهور والأشجار ، وهذه عامة للمؤمنين يتمتعون بها جميعاً .

ثم يأتى قوله تعالى :

---

(١) السَّخَط والسُّخْط : الكراهية للشىء وعدم الرضا به . وأسخطه : أغضبه . ومنه حديث : إن الله يسخط لكم كذا ، أى : يكرهه لكم ويمنعكم منه ويعاقبكم عليه . (لسان العرب ـ مادة : سخط).

(٢) متفق عليه أخرجه البخارى فى صحيحه (٦٥٤٩) ، ومسلم فى صحيحه (٢٨٢٩) عن أبى سعيد الخدرى .

(٣) عدن فلان بالمكان : أقام . وجنات عدن منه ، أى : جنات إقامة لمكان الخُلد . ومنه المَعْدِن : وهو المكان الذى يثبت فيه الناس لأن أهله يقيمون فيه ولا يتحولون عنه شتاء ولا صيفًا . (لسان العرب ـ مادة : عدن).

﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ . ﴿٧٢﴾ ﴾ (التوبة)

وهذه المساكن زيادة على هذه الجنة ، وهنا وَعْد من الله لكل مؤمن بجنة خاصة بمفرده ، يكون له فيها مسكن طيب.

إذن : فعندنا جنات ، وهى جميع المؤمنين ، ثم مساكن طيبة. أى : مسكن طيِّب لكل مؤمن ، وما هو الطيب فى هذه المساكن؟

لنا أن نلاحظ أن الإنسان يحب الشيوع أولاً ، ثم يحب الانكماش ثانياً ، وإذا أراد أن يملك فهو يريد أن يملك مكاناً متسعاً خاصاً به ، ثم يُخصِّص فى هذا المكان مأوىً طيباً خاصاً به.

خُذْ صورة من المجتمع الذى تعيش فيه ، فأنت تحتاج إلى مسكن لتسكن وتستريح فيه من عناء الحياة ، وهناك مَنْ عنده مسكن من حجرة واحدة ، فإذا ترقَّى يكون المسكن من حجرة وصالة ، أو حجرتين وصالة.

ثم بعد ذلك يزداد الرُّقى ، فيبحث عن شقة واسعة ، فإذا ارتقى كان له مسكن خاص ، فإذا ارتقى جعل حَول مسكنه حديقة ، وهكذا يزداد الرُّقى.

إذن : فالمسألة لم تَعُدْ مكاناً تأوى إليه فقط ، بل ترتقى فى الإيواء كلما ارتقيتَ فى الحياة ، فتتحقق لك المتعة فى الإيواء ، ولهذا يقول الحق سبحانه :

﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً ...﴿٧٢﴾ ﴾ (التوبة)

أى : هناك جنات ، وهناك مساكن ، لأن الإنسان يحب فى بعض الأوقات

أن يجلس بمفرده وحوله المتعة التى تخصه ، وفى أحيان أخرى يحب أن يجلس مع الناس فى مكان جميل ، مثلما يحدث فى الأعياد والمناسبات ، عندما نخرج إلى الحدائق والبساتين ونجلس معاً

فكأن الجنات للرفاهية الزائدة ، عندما تحب أن تجتمع مع [illegible] تتمتع بها [illegible] وأنت وغيرنا.

أما المساكن فهى للخصوصية ، فيكون لكل واحد مكان خاص يجلس فيه ، ويتمتع بما حوله.

ونحن حينما نذهب إلى بيت إنسان ثرى ، قد نجد أن للبيت حديقة ، يشرف عليها بستانىّ مُتمكِّن من عمله ، ويقوم بتنسيق الزهور والأشجار بشكل يناسب ثراء المالك.

ويكون إعجابنا فى هذه الحالة بالحديقة إعجاباً كبيراً ، بحيث نجلس فيها ، ونكره أن نغادرها ، فإذا كان هذا هو ما يحدث بقدرات البشر ، فكيف بهذه الحدائق التى صُنِعت بقدرة الله سبحانه وتعالى ؟

وكيف يكون جمالها وحلاوتها والمتعة فيها ؟

إن الذى وَعَدنا بهذه الجنات هو الحق سبحانه وتعالى ، وهو قادر على أن يُنفِّذ ما وعدنا به ، من جنات فيها من الكماليات والرفاهية ما لا عين رأَتْ ، ولا

أذن سمعتْ ، ولا خَطَر على قلب بشر[1]

وجعل الحق سبحانه هذه الجنات واسعة شاسعة ، فيها زروع وازهار وأشكال ، تسرُّ العين بجمالها ، وتُمتع اللمس بنعومتها ، وتملأ الأنوف برائحتها الزكية.

وكل إنسان فى الدنيا يتمتع على قَدْر قدراته ، وتصورات الخلق لأنواع النعيم تختلف باختلاف بيئاتها ومقاماتها ، فقد تكون من الفلاحين ، وكل متعتك أن تجلس على مصطبة أمام بيتك .

وقد يكون عند إنسان آخر بيت فيه صالون كبير ، والثالث له بيت فيه عدة صالونات .

فكل واحد يتمتع على قَدْر إمكاناته فى الدنيا ، ولكننا فى الآخرة نتمتع كلنا على قَدْر قدرات الحق سبحانه وتعالى ، ويكون متاعنا بقدرة لا تفوقها قدرة، ويكون الجزاء بقدر ما فعلْتَ من خير فى الدنيا ، واتبعت منهج الله .

إذن : فأنت الذى تحدد المساحة التى لك فى الجنة ، وتحدد المسكن وأنواع النعيم بقدر عملك.

---

(١) عن سهل بن سعد الساعدى قال : « شهدت من رسول الله ﷺ مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى . ثم قال ﷺ فى آخر حديثه : فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ تتجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (السجدة) » أخرجه مسلم فى صحيحه (٢٨٢٥)، وأحمد فى مسنده (٥/ ٣٣٤) .

ثم أوضح الحق سبحانه أن هناك شيئاً أكبر من هذا كله ، وهو رضوان الله فى قوله تعالى :

﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) ﴾ (التوبة)

فالذى عمل للجنة يعطيه الله الجنة ، والذى عمل لذات الله يعيش فى معية الله سبحانه.

إن رضواناً من الله أكبر من كل شىء ، ولقد نبَّأنا الله بما فى الجنات ، ونبأنا بالخير من كل ذلك ، لقد نبأنا الله بأن رضوانه الأكبر هو أن يضمن المؤمنُ أن يظفر برؤية ربِّه ، وهذا ما يقول الله فيه :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ (القيامة)

إذن : فهناك فى الجنة مراتب ارتقائية[1] ، فالحق سبحانه سيعطى كل إنسان على قدر موقفه من منهج ربه ، فمن أطاع الله رغبة فى النعيم بالجنة يأخذ جنة الله.

---

(١) ذكر السيوطى فى الدر المنثور (٤/ ٢٣٧) آثارًا مرفوعة وموقوفة عن درجات الجنة فقال :

أخرج ابن أبى حاتم (أى : فى تفسيره) عن سليم بن عامر عن رسول الله ﷺ قال : « الجنة مائة درجة : فأولها : من فضة أرضها فضة ، ومساكنها فضة ، وآنيتها فضة ، وترابها مسك . والثانية : من ذهب أرضها ذهب ، ومساكنها ذهب ، وآنيتها ذهب ، وترابها مسك . والثالثة : لؤلؤ ، أرضها لؤلؤ ، وآنيتها لؤلؤ ، وترابها مسك . وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

وأخرج ابن أبى شيبة (أى فى مُصنَّفه) عن ابن عمر قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل له ألف قصر ، ما بين كل قصرين مسيرةُ سنة ، يُرى أقصاها كما يُرى أدناها ، فى كل قصر من الحور العين والرياحين والولدان ما يدعو شيئًا إلا أُتى به » ا. هـ .

ومن أطاع الله لأن ذات الله أهلٌ لأن تُطاع ؛ فإن الله يعطيه متعة ولذة النظر إليه ـ سبحانه :

تقول رابعة العدوية[1] في هذا المعنى :

كُلُّهم يَعبدُونَ مِنْ خَوْفِ نَارِ ... وَيرونَ النجاةَ حَظّاً جَزِيلا

إنَّني لَسْتُ مِثْلَهم ولهذَا ... لَسْتُ أبْغِي بمَنْ أُحِبُّ بَدِيلا

وقالت أيضاً :

«اللهم إنْ كنت تعلم أنّي أعْبدك خَوْفاً من نارك فأدْخلْني فيها ، وإنْ كنتَ تعلَمُ أنني أعبُدك طَمَعاً في جنَّتِك فاحْرِمني منها ، إنما أعبدُكَ ؛ لأنك تستحق أن تُعبد ».

فالحق سبحانه سيعطي كل عبد على قدر حركته ونيته في الحركة ، فالذي أحبَّ ما عند الله من النعمة ، فليأخذ النعمة ويفيضها الله عليه ، أما الذي أحبَّ الله وإنْ سلب منه النعمة ، فإن الله يعطيه العطاء الأوْفى.

وهكذا نرى أن هناك اختلافاً في التكريم ، والمؤمنون حين يرتقون في درجة الإيمان يعيشون دائماً مع النعمة والمنعم ، فإذا جاء الطعام قالوا «بسم الله» ، وإذا أكلوا قالوا «الحمد لله» .

(١) رابعة بنت إسماعيل العدوية ، أم الخير ، مولاة آل عتيك ، البصرية ، صالحة مشهورة ، من أهل البصرة ، مولدها بها ، لها أخبار في العبادة والنسك . توفيت بالقدس عام ١٣٥ هـ (الأعلام لخير الدين الزركلي ٣/ ١٠).

ولكنهم إذا ارتقَوْا أكثر فى الإيمان عاشوا مع المنعم وحده ، ولذلك يباهى الله بعباده الملائكة[1] ، يباهى بعبادتهم وطاعتهم التى يلتزمون بها على أى حالة يكونون عليها ، ولو نزل بهم أشد البلاء وسلبت منهم النعم.

وهؤلاء من أصحاب المنزلة العالية ، ولذلك «فأشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل »[2] ، ليرى الحق سبحانه وتعالى مَنْ يحبه لذاته وإن سلب منه نعمته ، وهذه منزله عالية.

فمَنْ عبد الله ليدخل الجنة أعطاها له ، ومَنْ عبده سبحانه لأنه يستحق أن يُعبد فسوف يرتقى فى الجنة ليرى وجه الله فى كل وقت ، وأما الآخرون فيرونه لمحات ، ولذلك يكون الجزاء فى الآخرة على قَدْر العُمْق الإيمانى للعبد.

---

(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب . فرجع من رجع وعقَّب من عقَّب . فجاء رسول الله ﷺ مسرعًا ، قد حفزه النفس ، وقد حسر عن ركبتيه فقال : « أبشروا . هذا ربكم قد فتح بابًا من أبواب السماء ، يباهى بكم الملائكة . فيقول : «انظروا إلى عبادى قد قضوا فريضة ، وهم ينتظرون أخرى » أخرجه أحمد فى مسنده ٢/ ١٨٦ ، ٢٠٨) وابن ماجه فى سننه (٨٠١) قال البوصيرى فى الزوائد : هذا إسناد صحيح ، ورجاله ثقات .

(٢) عن سعد بن أبى وقاص قال : قلت يا رسول الله ، أىّ الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه ، وإن كان فى دينه رقة خفف عنه ، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشى على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة » أخرجه أحمد فى مسنده (١/ ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨٥) ، وابن ماجه فى سننه (٢٣ ٤٠) ، والترمذى فى سننه (٢٣٩٨) وقال : « حديث حسن صحيح » .

لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ (الكهف)

وقال أحد الصالحين :

«إنى لا أشرك بك أحداً حتى الجنة ؛ لأن الجنة أحد »

فلا يجب أن تشغلنا النعمة ـ الجنة ـ عن المنعم ، وهو الله سبحانه وتعالى، والذى عمل للجنة سيأخذها ، والذى عمل لما هو فوق الجنة يأخذه .

أما إنْ كنت تعمل للذات وليس للعطاءات ، فإنك تكون فى معية الله يوم القيامة.

***